نقد السيد محمد محمد صادق الصدر
للنظرية الديالكتيكية الماركسية

الأستاذ المساعد الدكتور
حمزة جابر سلطان
الباحث
علاء شنون مطر
جامعة الكوفة - كلية الآداب

نقد السيد محمد محمد صادق الصدرللنظرية الديالكتيكية الماركسية

الأستاذ المساعد الدكتور
حمزة جابر سلطان
الباحث
علاء شنون مطر
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

يقوم الفكر الماركسي على النظرية الديالكتيكية ، وهي النظرية العامة للاشتراكية ومنها الشيوعية ، وان أسلوبها هو النظر إلى حوادث الطبيعية ، وطريقتها في البحث والمعرفة هي اكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الآراء بالنقاش ، وإنها ترى أن الحياة والإنسان والكون مادة تتطور من نفسها تطوراً ذاتياً ، فلا يوجد خالق ولا مخلوق وإنما تطور ذاتي في المادة .

وان حوادث العالم المتعددة بنظرها هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة ، وان العالم يتطور تبعاً لقوانين حركة المادة ، وهو ليس بحاجة إلى أي عقل كلي ، فالديالكتيك في نظر ماركس علم القوانين العامة للحركة سواء في العالم الخارجي أم في الفكر البشري .

وتنظر الديالكتيكية إلى المادة على أنها الأساس في كل شيء ، وان جميع مظاهر الحياة إذا لم تخضع لها ، فلا يمكن الإيمان به ، إلا أن السيد محمد محمد صادق الصدر لا يوفق الديالكتيكية بهذا الرأي ، فالمادة ليس هي الأساس ، فهناك أشياء لا تخضع إلى المادة وهي خارجة عنها ، وهي موجود في الواقع ، وان انكرها يعني إنكار الواقع ، هذا مما دعا السيد محمد الصدر إلى نقدها .

وقد تكون البحث من :

١- تمهيد وفيه توضيح مفهوم الديالكتيكية .
٢- ثلاثة مطالب وهي :-

- - المطلب الأول:- وفي نقد نظرية المادة.
- - المطلب الثاني :- نقد نظرية الأضداد وصراعها .
- - المطلب الثالث :- نقد نظرية تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات الكيفية.

مفهوم الديالكتيك

الديالكتيكية المادية * :- إن كلمة الديالكتيك كلمة يونانية ، ومعناها فن الحوار والمناقشة خصوصاً بواسطة السؤال والجواب[١] وإنها سميت بهذا الاسم لان أسلوبها في النظر إلى الحوادث الطبيعية أو طريقتها في البحث والمعرفة هي ديالكتيكية وتعليلها وتصورها لحوادث الطبيعة هي مادية [٢]. وإنها الاسم الذي وصفت بها الفلسفة الماركسية من قبل أنصارها في الاتحاد السوفيتي سابقاً والمنتسبين إليه في بلدان أخرى.[٣] وتقوم هذه النظرية في حقيقتها على أصول موروثة من الإغريق ، وان الفيلسوف الألماني هيكَل** أشاد في هذه الأصول منطقا خاصا وأعطاها نظاما جديداً [٤] و جعل من الديالكتيك ، منهجاً لفلسفته ومفاده أن كل فكرة تنطوي على تناقض باطن فمثلا الوجود يعني إثبات وجود ونفي وجود أخر ، فوجود التفاحة هو إيجاب لوجود هذه الثمرة، ونفي لكونها أية ثمرة أخرى .و لهذا ينبغي أن نقول عن الموجود انه موجود ولا موجود معا ، ومعنى هذا انه متغير ، فالوجود : موضوع ، ونفي وجود أخر نقيض موضوع ، والموجود المتغير مركب موضوع وهكذا تسير الحقيقة الواقعية من الموضوع إلى نقيض الموضوع ثم إلى مركب منهما هو مركب الموضوع ، ويستمر الأمر ، فيصبح مركب الموضوع موضوعا ،ينفيه نقيض موضوع ، ومن كليهما يتكون من جديد مركب موضوع وهكذا باستمرار . والديالكتيك هو العملية التي تمكن من تطور ومن نضوج الحقيقة الواقعية . و الديالكتيك عند هيكل نوعان[٥]:

النوع الأول: - الديالكتيك التاريخي : يظهر في تطور الحياة فبعض أشكال الحياة ينطوي على تناقض باطن، لأنها محتوم عليها أن تتجنب الغرض

الذي من اجله وضعت.مثل العلاقة بين السيد والعبد أو لان من المحتوم عليها تولد نزاعا باطنا بين أصول مختلفة مهمة على سواء من اجل تحقيق الغرض منها، وكما هو الحال في المدينة اليونانية، فأمثال هذا الأشكال مقيض لها أن تزول لتحل محلها غيرها.وهذا الديالكتيك يبدأ من القول بان غرضا ما يسعى إليه ،وان لم يتحقق بعد . والتنازع بين الغرض والواقع الفعلي يقود إلى تحطيم الواقع الفعلي وإحلال واقع أخر مكانه .

النوع الثاني : - الديالكتيك الوجودي (الانطولوجي) فيبدأ من قاعدة إن معيارا ما ، تحدده بعض الخواص، وقد تحقق وهو يتحرك خلال تصورات مختلفة لهذا المعيار نحو مزيد من الأشكال المناسبة. فمثلا بالنسبة إلى الوعي أو الشعور : نحن نبدأ من قاعدة إن هناك معرفة ، وان المعرفة انجاز . لكن معرفتنا عن هذا المعيار قاصرة اجماليه ، فتتوسع فيها وتنتقل من المعرفة الحسية إلى معرفة عقلية مقابله لها وهكذا باستمرار.ومن ثم أخذها كارل ماركس* من هيجل وأجرى عليها بعض التغيرات وبنى عليها أيديولوجيته في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وتعتمد النظرية الديالكتيكية على أصول و هي[٦] :

١- تناقض التطور ، أو (صراع التناقضات) .
٢- حركة التطور ، أو (حركة المادة) .
٣- التبدلات الكمية إلى نوعية ، أو (قفزات التطور) .
٤- الارتباط العام ، أو (العلاقات المتبادلة بين الظواهر)

وهذه هي الأصول التي يبني عليها الماركسيون مذهبهم الذي ينطوي على إنكار العوالم الغيبية ونفي احتياج الكون إلى خالق مدبر ، وادعاءهم أن المادة

تتكامل هي بنفسها وفي ضوء هذه الأصول تأتي بالتنوعات المختلفة وبهذه الطريقة يفسرون الظاهرة الكونية .

وبالرغم من أن ماركس قد اخذ فلسفته عن هيجل لكنه لم يقبل أساسها الفلسفي ، ففلسفة هيجل من وجهة نظر ماركس وأتباعه فلسفة مثالية ، لأنها تؤمن بالمثال المطلق ، وتعد المادة احد تجلياته ، لكن فلسفة ماركس مادية ،تؤمن بان الأصالة للمادة[٧]. وان الموجود هو فقط المادة وظواهرها ، وأما ماوراء المادة فلا وجود له ، وان المادة أزلية ، وان المخ هو مصدر الفكر ، وان الحياة نشأت من المادة وبفعل المادة.[٨] وان الفلسفة الماركسية هي فلسفة مادية ، فليس الفكر هو الذي يسيطر على حياة الإنسان أو على تطور العالم ولكن طريقة العيش المادية التي تكيف طريقة التفكير وعلى هذا فان كل ما يتعلق بحياة المجتمع مسائل مادية وكذلك النظم الاجتماعية والآراء السياسية في نظر ماركس ليست وليدة الفكر ، بل هي وليدة الحياة المادية، وأحداث التاريخ من حروب وثورات وقيام الدولة والأنظمة السياسية المختلفة فيها ، إنما تفسر على أساس العوامل الاقتصادية فيها فقط .وبناءً على ذلك فقد رفض ماركس تصور أستاذه هيجل للضمير الإنساني بوصفه صانعا للتاريخ فاستند إلى القوى المادية وجعل من الفكر مجرد انعكاس وترجمة للعالم المادي في العقل الإنساني[٩] .

هذا مما أدى إلى وجود انتقادات حادة ضد النظرية الديالكتيكية ، خاصة من علماء ومفكرين إسلاميين باعتبار أن هذا النظرية تنفي وجود خالق للكون ،وترى أن المادة هي أساس كل شيء ، ومن الذين نقدوا الفكر الماركسي ، وخاصة النظرية الديالكتيكية السيد محمد محمد صادق الصدر ، وقد كان انتقاده لهذه النظرية مبنيّة على أسس علمية و موضوعية ، وقد حاول الصدر أن يكون نقده من خلال الأصول التي تعتمد عليها النظرية الديالكتيكية .ومن هذه الأصول التي ناقشها ونقدها السيد الصدر هي :

أولا : - نظرية المادة

ثانياً : - نظرية الأضداد وصراعها

ثالثاً : - نظرية تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفي

المطلب الأول : - نقد نظرية المادة في الفكر الماركسي

تعتبر المادية أن كل شيء فكري أو روحي نتاج لحركة المادة ، معتمدةً على الظروف المادية ، ولايستطيع الوجود العمل بصورة مستقلة عن المادة .... وان النشاطات البشرية تظهر من الظروف المادية للحياة البشرية التي يعكسها التفكير البشري ، وهكذا لم يتركا ماركس وانجلز* مجالاً للتأملات المثالية [١٠]. وان كل العمليات الفكرية من الإدراك الحسي، والتفكير، والإرادة، والحكم، والشعور، يجب أن تفسر وتفهم على أنها ظاهرة من العمليات المادية، وان أفكارنا أو شعورنا هي بالتأكيد ليست أحداثاً خارج هذا العالم، أنها تحدث ضمن العالم المادي... ليس هذا فحسب بل تذهب الماركسية إلى أن محتويات الفكرة يجب تفسيرها كنتاج الظروف المادية التي تجري فيها نشاطات التفكير [١١].

والمادة تعد من أهم المسائل التي اهتمت بها الماركسية على الإطلاق ، والتي ترى أن الفكر متقدم على المادة أو أن المادة متقدمة على الفكر[١٢] ، وان الماركسية وبالتأكيد سوف تختار بان المادة متقدمة على الفكر ، وأنها أيضا تقول بأزلية العالم المادي . ولكن العالم لو كان أزليا لا انعدمت الحياة والحركة فيه منذ أقدم العصور ، نتيجة فقدان أجزائه للحرارة ، وانتقال طاقاتها المتاحة إلى طاقة غير متاحة ، وتوقف العمليات الطبيعية والكيماوية ، وللزم أن لا يكون على الأرض أي اثر للحياة والأحياء ،وان لا يبقى إلى الآن أية حرارة للشمس لحصول الموت الحراري(الفقدان الحراري) ، فان العالم يفقد كل يوم كمية هائلة من حرارته نتيجة للأنفجارات المتلاحقة في ذاته ، إذن فان للكون بداية وانه حادث وليس أزليا [١٣].

وإن السيد الصدر يرى بان هذه المسالة بالرغم من أنها المسالة الرئيسة بين الماديين والإلهيين إلا أن هذا لا يعني أنها هي الأكبر على الإطلاق، لوضوح انه قد توجد انقسامات فلسفية أو فكرية وأخرى تكون مسائل هي المحك فيها ، وكذلك ليست هذه المسألة هي اعم المسائل في الفكر الفلسفي . فان هناك ما هو اسبق منها واشمل ، كالمسالة التي وقعت محلا للخلاف بين الواقعيين والمثاليين – بالمعنى الاصطلاحي – وهو انه هل يوجد في خارج الذات شيء واقعي أو لا يوجد ، وان المادة هي أقدم الموجودات ، فالموجودات اللاحقة كلها ، داخلة في ماهيتها أو نتيجة وثمرة لها الروح والفكر والإحساس ،فهي دعوى مجردة لا تستند إلى أي برهان علمي . وما الذي قدمه أصحاب الديالكتيكية من البراهين العلمية، على أن الروح والفكر والإحساس ، كل ذلك ثمار أنتجتها المادة ؟ وان أدق ما قدمته الماركسية من برهان على هذه الدعوى والى ألان هو أن الحيـــاة تنشأ عن الحرارة ،والحـــرارة بدورها تنشأ عن الحركـة[١٤] . وان ما حدث في مؤتمر عقده ستة من أئمة علماء الحياة في كل من الشرق والغرب ، حول مائدة مستديرة في نيويورك عام (١٩٥٩) املآ في الوصول إلى فهم شيء عن أصل الحياة ونشأتها على الأرض ،أو إلى معرفة مدى إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيمائي ، وقد قرر المؤتمرون في نهاية مؤتمرهم أن أمر الحياة لا يزال مجهولاً ولا مطمع في أن يصل إليه العلم يوما ما ، و أن يكون مجرد بناء مواد عضوية معينة وظواهر طبيعية وكيميائية خاصة ، فأين هو الدليل على ما يسميه الماركسيون بالتطبيق والنشاط العلمي . على صدق هذا التصور الذي يقضي بكل بساطة بان (الحركة + الحرارة = الحياة)[١٥] .

ويرى السيد الصدر أن قول الماركسية بأزلية الكون غير صحيح حيث ثبت في العلم الحديث بطلانه . وذلك بواسطة قانون الديناميكي الحراري ، وهو أن الأجسام عموما تشع حرارتها حتى تصل إلى الصفر المطلق أو العدم. ومعه فإذا كان هذا الكون أزليا، إذن فلا بد من أن يكون قد انعدم وانتهى منذ عهد بعيد

طبقا لهذا القانون. في حين أننا نرى الكون موجودا، إذن فلابد أن يكون قد وجد في لحظة متأخرة بحيث لا زالت حرارته الداخلية سارية المفعول. وهذا يعني حدوث الكون ونفي أزليته. إذا كان الكون حادثا إذن، يدور الأمر بين الاعتراف بالفاعل الخارجي للكون، أو كونه قد طفر من العدم إلى الوجود فجأة وكلا الأمرين مما لا ترغب فيه الماركسية.(١٦)

وان إنكار القانون الديناميكي الحراري ، قد يوقع الماركسية في عدة محاذير باطلة أو أوضحها في الذهن الماركسي انه يكون على خلاف قول لينين بأن الكون شعلة تثور وتنطفئ طبقا لقوانين معينة ، وان إنكار قانون الفناء الحراري، يعني أن الكون يشع حرارته باستمرار وبنسبة متشابهة منذ الأزل إلى الأبد، بدون أن (ينطفئ) أو يناله العدم. وهو على خلاف ما التزم بت لينين.ويبدو أن المقصود من انطفاء شعلة الكون، انعدامه بالمرة، مرة بعد مرة، إذن يلزم من اشتعاله بعد الانطفاء وجودة بعد العدم مرة بعد مرة، وهو يورط الماركسية بالقول بالصدفة للكون لعدة مرات، ربما لا تكون متناهية على حين أنها هربت منه لمرة واحدة.(١٧)

كما أن القول بأزلية المادة وأبديتها هو مجرد فرض فلسفي وهو فرض كذبه البحث العلمي والتجارب العلمية المتعددة والمتنوعة ، فقد أعلن العلم أن قوانين الديناميكا الحرارية قد أخذت تدلهم على أن لهذا الكون بداية ، ولابد من أن له من مبدأ ومن صفاته العقل والإرادة واللانهاية(١٨)

وقدم السيد الصدر دليلا أخر في نقده للماركسية وإبطال القول بأزلية الكون، وان القول بأزلية الكون بمعنى عدم وجود بداية لوجوده مما لا معنى له بالمرة . فان لفظ الكون يعبر عن مجموع ما في عالم الوجود من أجزاء فما هو الشيء الذي نقول بأزليته ؟ وهل هو المجموع أم الأجزاء ؟ وما المجموع لا يمكن أن يكون أزليا ، لأنه مفهوم ذهني أو تعبيري غير موجود في الخارج، فكيف يكون الشيء أزلي وهو غير موجود وان الموجود في الخارج والمتحقق هي أجزاء الكون الكثيرة فقط .حتى لو تصور وحدة أجزاء الكون فان هذا التصور هو خيال تصوري محض

.فان ما هو أزلي هو الموجود الواقعي دون غيره .وأما الالتزام بأزلية الأجزاء على كثرتها وتشتتها ، فهذا أيضا غير محتمل .وان السيد الصدر استطاع أن يفند ما جاءت بت الماركسية بواسطة القانون الديالكتيكي وهي أن الأجزاء توجد وتفنى باستمرار أولا . وثانيا أن أي جزء من الأجزاء لا يبقى محافظا على وجوده منذ الأزل وذلك أن معنى الحركة هو زوال أشياء وحدوث أشياء أخرى ، طبقا لقانون الديالكتيك ، وان الكون متحرك باستمرار ولا يمكن أن يكون ساكنا ، إذن السيد الصدر هنا يصل إلى نتيجة مفادها انه إذا لم يكن الكون لا بمجموعه ولا بأجزائه أزليا،فهو حادث في لحظة معينة وهنا يدور الأمر بين بالالتزام بالصانع الحكيم أو القول بالصدفة المطلقة وهنا يربط السيد الصدر أزلية الكون (في حين التسليم بالأزلية) بفاعل خارجي . فان عدم افتراض الفاعل يؤدي إلى ما يسمى باصطلاح الفلسفة بالتسلسل وهو محال . فالسيد الصدر يرى بأنه حتى مع الالتزام بأزلية الكون فانه يتعين القول بوجود الفاعل الخارجي . وانطباق فكرة التسلسل واضحة على هذا التقدير فان ترتيب الأحداث والوقائع الكونية على بعضها البعض ، مما لا ينكره احد ، سواء كان بنحو ديالكتيكي أو علمي أو على أي شكل ثالث ... إذن فوجود هذه الحادثة مسند إلى حادثة قبلها ، وتلك إلى ما قبلها ، وهكذا إلى ما لا نهاية وهذا هو معنى التسلسل ، إذن فأزلية الكون مستحيلة التحقق على أساس الفكر المادي .[١٩]

أن قول الماركسية بأساس المادة وأزليتها هو لأجل إنكار أمور خارج المادة ، إنكار الأمور الغيبية ، بالتالي إنكار خالق لهذا الوجود إلا أن هذا غير صحيح وباطل ، باعتبار أن المادة في حالة تغير وتبدل وفي حالة فناء شي فشيئاً ، وبالتالي فان طريقها إلى الزوال والانعدام لا إلى الأزلية ، وان الأدلة التي استخدمها السيد الصدر في نقض لأزلية المادة هي أدلة علمية ، أي أن العلم الحديث يناقض ما قالت به الفلسفة الماركسية على أن المادة أزلية ،

المطلب الثاني: - نقد نظرية الأضداد وصراعها في الفكر الماركسي

كل نظام يجب أن يحتوي دائما على تناقضات ، لأنه إذ يعتمد وجوده على المحافظة على بعض العلاقات الداخلية بين العمليات أو العلاقات مع الأشياء المحيطة بت ، فهناك دائماً عمليات موجودة يؤدي تطورها بعد نقطة معينة إلى مناقضة ظروف المحافظة على النظام ، وقد يمكن السيطرة عليها إلى حد كاف ليكون النظام مستقراً جداً لفترة طويلة من الزمن ، ولكن مهما كان ذلك فان أي نظام هو وحدة متناقضة وفي الوقت الذي تعمل فيه الظروف لإفراج التناقضات الكامنة إلى العمل الفعال [٢٠].

و ليس العالم جزئيات منعزلة قائمة بذاتها ولكن كل ظاهرة تشكل وحدة عضوية يمكن التناقض فيها إذ هي لا تتغير بسبب علل خارجة عنها بل يكمن التناقض والصراع في أعماقها وذلك هو سر التطور ، فالتناقض هو القوة المحركة للتاريخ الطبيعي والإنساني معاً وإنكار ذلك يعني افتراض سكون الكائنات وموتها ، بل أن الحركة الآلية البسيطة لا تتم إلا بوجود الأضداد ،كما أن هناك جوانب متناقضة في العلوم العقلية كالرياضيات والمنطق[٢١].

ويؤكد كارل ماركس أن التناقض هو القوة المحركة للتاريخ الطبيعي والإنساني معاً ،وان الحركة الآلية مثلاً لا تتم إلا بوجود الأضداد ، فعل ورد فعل ، جذب ودفع ، وان وجود التناقض والصراع بين الأطراف سواء في عالم الطبيعة أو عالم الإنسان هو سر التطور ، وان طرفي التناقض يستمد كل منهما وجوده من الأخر ، و أن الصراع بين الطرفين هو المضمون الداخلي للحركة والتطور ،وان المتناقضين يتعايشان في حقيقة واحدة كالحياة والموت ،والملاك والمستأجر ، وكل من الجانبين المتناقضين يميل في ظروف معينه إلى الانتقال إلى الجانب الأخر فالبروليتاريا الثائرة تصبح حاكمة بعد أن كانت محكومه ،وينقلب الملاك إلى المستأجرين لا ارض لهم ، بينما يصبح المستأجرون صغار الملاك .[٢٢]

وان كل ظاهرة تشتمل على طرفي تضاد ، ولا يمكن أن يظل هذان الطرفان دون صراع لكن من غير أن يقضي على وحدة الشيء أو الظاهرة . بل يتغلب الطرف المعبر عن التقدم على الطرف الأخر فيحدث التحول[٢٣] . وهذا الرأي ناجم عن تأثر ماركس بنظرية فورباخ* عن الاغتراب، ويرى ماركس أن صراع الإنسان ضد الاغتراب ينتهي بالوصول إلى مرحلة البروليتاريا. وان شعور الإنسان بالاغتراب عن ذاته هو الذي يدفعه إلى السعي لكي يهزم هذا الاغتراب والآلة التي يحطم بها الإنسان هذا الاغتراب هي الطبقة البروليتاريا و بمعنى أدق هي الوعي بالذات إلي تصل إليه البروليتاريا[٢٤]. وحسب ما تراه الماركسية في صراع الأضداد ، فان الحلم الماركسي في تطور المجتمعات البشرية وصولاً إلى مجتمع متطور تتحقق فيه العدالة الاجتماعية ، ولن يتحقق لان المجتمع الشيوعي يحمل في طياته نقيضاً له ، وهذا النقيض يقضي على وجود هكذا مجتمع ، وهكذا الأمر فان النقيض الذي قضى على المجتمع الشيوعي سوف يحمل في داخله نقيضاً له ويقضي عليه ، والى مالا نهاية وهو محال ، وبالتالي لان يتحقق المجتمع الشيوعي في الواقع وانه مجرد نظرية قالت بها الماركسية .

و يرى السيد الصدر أن صراع الأضداد التي تقول به الماركسية إلى شيء جديد انه لا يصل إلى الشيء الأكمل ، فان الصراع حتما سوف يؤدي بالمتصارعين إلى الهلاك ولا اقل من هلاك احدهما لأنه عنيف ودائم وأما النتيجة التي تقول بها الماركسية بوجود شيء جديد نتيجة للصراع فهذا الأمر غير معقول وذلك لأنه خلاف لطبيعة الصراع بالضرورة . حيث أن الحركة لا تؤدي دائما إلى الأكمل والأعلى ، بل قد تؤدي الحركة إلى ما هو الأردأ ، كتحول الحديد إلى تراب نتيجة لتآكله بالرطوبة ، و قد لا تكون هذه الحركة مؤدية إلى نتيجة بالمرة ، مثل بقاء بعض المجتمعات البدائية غير متطورة إلى حد ألان ، على شكلها البدائي ، ولعلها تبقى هكذا حتى تفنى أو تتفرق .وقد تؤدي الحركة إلى زوال الذات بدون بدل ، كالفوتونات الكهربائية عند استقرارها على الأجسام ،فإنها تنعدم

بالمرة ، لان لا كتلة لها عند السكون،وإنما تحدث لها الكتلة عند الحركة كما ثبت في الفيزياء الحديثة ،فإذا كانت الحركة صراعاً بين الأضداد ، لم تكن منتجة للفرد الأكمل دائما[٢٥].

وان الواقع يكشف عن خطأ نظرية الماركسية في التناقض والصراع بين الأضداد ، حيث توجد أشياء يكون بينها نوع من التواصل والارتباط ، ولا يوجد بينها نوع من التناقض والصراع . فان القول بالتناقض أو وحدة الأضداد وصراعها قول غير دقيق وغير علمي. فالموجود في الذرة – وهي وحدة المادة- حتى ألان هو الموجود في الكون . مركز النواة في الذرة (هو الشمس في الكون) داخله شحنات موجبه (تحملها جسيمات تسمى البروتونات) متصلة بشحنات سالبه (تحملها الالكترونات) و تدور حول نفسها وحول النواة كما تدور الكواكب حول نفسها وحول الشمس . وهذه الصلة بين الموجب والسالب ، والموجودة في جميع الخلائق هي التزاوج ، والتزاوج لا يعني التضاد أو صراعا أو تصادما ، وإنما يعني (الالفه) و(المودة) (الرحمة) هذا في الأصل وان وجد في الاستثناء ، فهناك ملاحظتان[٢٦]: -

أولا :- انه ليس هو الأصل والاستثناء لا حكم عليه .

ثانيا : - انه لا يكون إلا باختلاء يحدث في التكوين يعلمه علماء الطبيعيات .

لكن طالما أن الذرة في حالة الاستقرار فهي كالأسرة في حالة الاستقرار يسودها الوئام والانسجام ولا يوجد فيها الصراع ولا القضاء .

ولما كان هذا يشمل في نظر (هيجل) وأتباعه على كل شيء حتى الأفكار الكلية ،والمناهج الفلسفية فان لنا أن نسأل الماركسية حينئذ :هل يشمل هذا القانون الفكر الماركسي نفسه والأصول الديالكتيكية نفسها أم لا ؟ فان إجابتها تكون بالإثبات وان وجوده في الفكر الماركسي والأصول الديالكتيكية فكرة أخرى يناقضها ويصارعها من داخلها ومن ثم يقع الصراع بينه وبين الأصول حتى يقلبها ويقضي عليها ، ويثبت خلافها أو الأكمل منها ،فان ذلك يؤدي إلى

انتحار الماركسية بيديها إذ عندئذ تتحول الأصول التي تعتمد عليها النظرية الماركسية في تفسير العالم إلى أضدادها ، وهنا يعني بطلان هذه النظرية ، وانهدام ما قامت عليه من القوانين والأسس ، وإذا تحولت الأصول الديالكتيكية إلى أضدادها تصير النتيجة تبدل المادية إلى الميتافيزيقية ، والحركة إلى الجمود ، والصراع إلى توافق إلى غير ذلك، وان أجاب بالنفي أو عدم شمول قانون الصراع المتناقضات وتبدل الشيء إلى ضده للأصول الديالكتيكية كان ذلك نقضا لقانون الماركسيين وخرقا لقواعدهم التي يجب أن تعم ولا تتخصص أو تتوقف في نقطة[٢٧]. وذلك باعتبار أن - حسب ما تعتقده الماركسية - أفكارها عامة وشاملة لكل جوانب الحياة الكونية والأمور الفكرية ، فعندما تتبنى نظرية معينة فهذه النظرية تكون واسعة النطاق ، فإذا لم تكن كذلك فلا يحق لها أن تدعي رأياً في قضيةً واسعة النطاق .

وان إيمان الماركسية بحتمية حدوث الصراع بين قوى المجتمع وطبقاته ، وان الصراع القائم ألان بين الرأسمالية كطبقة متملكة و البروليتاريا كطبقة عاملة سينتهي، حسب استنتاج ماركس من دراسة التاريخ ، لصالح الطبقة العاملة التي تقيم مجتمعا شيوعيا الذي سيكون أخر مراحل التطور البشري . كيف يتفق هذا مع قول كارل ماركس بأن كل نظام يحمل في طياته بذور فنائه ، أو بذور نظام أخر مضاد له ؟ وكيف يتفق هذا مع أن المجتمع لا يتوقف عن التقدم والتأخر ؟ وكيف يتفق هذا مع التفسير القائم على أن العالم الاقتصادي هو سبب التطور إلى المجتمع الشيوعي وأين العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية والروحية [٢٨]؟ فان إيمان الماركسية بحدوث الصراع بين قوى المجتمع وطبقاته ، إيمان ضعيف وانه زائل، حيث أن الشيء يحمل نقيضه في داخله ، وبهذا فأن الطبقة العاملة ألتي سوف تقيم مجتمعا شيوعياً والذي سيكون أخر مراحل التطور البشري ، سوف يحمل معه نقيضه الذي ينفيه من الوجود وبالتالي فان هذه المرحلة لتطور

البشرية غير صحيحة ، فهناك إذن مراحل أخرى غير هذه المرحلة للتطور فما تؤمن به الماركسية غير دقيق ويحتاج إلى عادة النظر فيه .

المطلب الثالث : - نقد نظرية تحول التغيرات الكمية إلى تغير كيفي

ترى الماركسية بان حركة التطور في النظرية الديالكتيكية هي تطور ينتقل من تغييرات كمية ضئيلة وخفيه إلى تغييرات ظاهرة وأساسية أي تغييرات كيفية ، وأنها ترفض أن تكون حركة التطور حركة بسيطة ، وأنها لا تؤدي إلى تغييرات كمية فيها إلى تغييرات كيفية ، وان حدوث هذه التغييرات الكيفية في هذه النظرية هي سريعة فجائية ، وليست تدريجية ، وأنها تقفز من حالة إلى حالة أخرى ، بل أنها تذهب إلى أكثر من ذلك حيث أن وقوع هذه التغييرات ضرورية أي لابد منها وذلك نتيجة لتراكم كمية محسوسة وتدريجية ، وان فهم حركة التطور في النظرية الديالكتيكية لا من حيث هي حركة دائرية ، بل هي حركة تقدمية صاعدة ، والانتقال فيها من الحالة الكيفية القديمة إلى حالة كيفية جديدة ، وان التطور فيها ينتقل من البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى [٢٩].

وتعتقد الماركسية أن استمرارية التغير الكمي الصرف تنقطع فجأة وظهور نوعية جديدة لم تكن موجودة من قبل ، وفي هذه النقطة تأتي قوانين جديدة إلى الوجود ،فستبدأ أسباب جديدة بالعمل وتنتج تأثيرات جديدة ، ويكون ظهور نوعية جديدة فجائية نسبياً دائماً فتحدث ما تسمى (بالقفزة النوعية)، مثلاً بالتسخين إلى درجة الغليان يبدأ الماء فجأة بالغليان ، وفي المجتمع عندما تحتد النزاعات الطبقية إلى نقطة معينة وتتمكن الأفكار الثورية من الجماهير إلى حد كاف ، يبدأ تغير ثوري فعال فجأة[٣٠].

ووضعت الماركسية: قانون تراكم التغيرات الكمية وتحولها، في مرحلة معينة، إلى تغيرات كيفية. والمراد من التغيرات الكمية، باصطلاحها، التغيرات الطفيفة التي تطرأ على الشيء، ومن التغيرات الكيفية ما كان تغيرا أساسيا ومهما

في الشيء. وبهذا الفهم لهذا القانون يتبين أن التغيرات الطفيفة والقليلة إذا تراكمت أنتجت تغيرا كبيرا ومهما[٣١]. وان قانون الانتقال من التغير الكمي إلى التغير الكيفي يوضح كيفية سير التطور ،بمعنى أن التغير الكمي يحدث من ناحية المقدار ، بينما التغير الكيفي يحدث في الكيف أو الصفات ، عندما تتراكم التغيرات الكمية وتتزايد فان التغير الكيفي لا يلبث أن يتم . ويستمر التحول الكيفي من الطبيعة الغير عضوية إلى عالم الإنسان ، وفي عالم الإنسان من الأنظمة الاجتماعية البدائية إلى النظام الاشتراكي ، أي تلك التغيرات الكمية تتحول عند نقطة معينه إلى تغيرات كيفية تأخذ في لحظة بعينها شكل الثورة العنيفة ،ويشبهها انجلز بالماء حين يتحول من سائل إلى حالة تجمد عند درجة معينة من البرودة .[٣٢]

وينظر كارل ماركس إلى أن التغير في جميع الظواهر الطبيعية والإنسانية هو التغيير من الكم إلى الكيف ، ويتم ذلك التغيير طفرة دون تدرج ، فانتقال الماء إلى ثلج أو بخار بانخفاض أو ارتفاع تدريجي في درجة الحرارة إنما يتم طفرة دون أن تحدث ما حل في عملية التحول ، فالتغير التدريجي في الكمية لا يصاحبه تغير تدريجي في الكيف ، أن التغير المفاجئ ينطبق على الإنسان أيضا ولا يقتصر على الطبيعة ،وان ظهور الإنسان حدث طفرة أي أن هناك تحولا جذريا كيفيا في تطور الكائنات الحية الذي يبدو من الناحية الكمية تدريجيا ، وهذا التغير المفاجئ أو الطفرة في تطور المجتمع هو ما يسمى باسم الثورة ،فهي من ناحية حصيلة تغير كمي تدريجي ، ومن ناحية أخرى هي تغير كيفي مفاجئ نحو الوضع الجديد حيث تختفي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القديمة لتبرز فجأة أوضاع جديدة ،أي انهيار النظام القديم وظهور نظام جديد مكانه ويؤكد هذا القانون أن ماركس على خلاف هيجل حيث كان يؤمن بنظرية دارون في التطور [٣٣].

إلا أن السيد الصدر يناقش قانون تحول التغيرات الكمية إلى تغير كيفي ، تحولا دفعيا على شكل قفزة أو طفرة ، وانه يقدم نقدا لهذا القانون لأنه يرى أن هذا القانون مما لا أساس له ، لعدة نقاط [٣٤]: -

النقطة الأولى : -

الماركسية تريد أن تفهم الكون بصورة عامة من خلال قانونها ، الذي هو تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية ، تحولاً دفعياً على شكل قفزة أو طفرة ، من دون أن تنتبه إلى أن الطفرة هي قطع بين اللاحق والسابق ، مما يؤدي هذا القطع إلى نتيجة هي أن اللاحق لا يكون ناتجاً من السابق ، بل أن أمر جديد منقطع عن سابقه ، وان التغير الكيفي لا ينتج من التغيرات الكمية ، وذلك لتخلل الطفرة فيما بينهما . وهذا ما يراه السيد الصدر بان الطفرة بطبيعتها دائما تقطع الواقع اللاحق عن الواقع السابق ،بحيث لا يكون اللاحق ناتجا من السابق بأي حال عن السابق ، بل انه حادث جديد منقطع عن سابقة وهذا هو سر الطفرة وفلسفتها ، حيث يؤكد السيد الصدر على أن ما ذكرته الماركسية من أن التغير الكيفي ناتج من التغيرات الكمية ، وأنها بمنزلة الأسباب له . لا يكون صحيحا ،وذلك لتخلل الطفرة بينهما .وبهذا يعتقد السيد الصدر انه لابد من أن نبحث عن أسباب أخرى للتغير الكيفي . وإلا كان وجوده مستندا إلى الصدفة المطلقة . و أن هذا القانون لا نجد له مصداقا في عالم التكوين الحياتي العضوي المعقد . مثلاً تحول الطفل إلى مراهق لم يتم فجأة وبسرعة وعلى شكل طفرة بحيث نستطيع أن نضع إصبعنا على الخطة الفاصلة بين المرحلتين .انه تطور تدريجي ومن دون أي قفزة وعلى حين غرة [٣٥].

النقطة الثانية : -

ويرى السيد الصدر أن هذا القانون التي نادت به الماركسية لو صح أحيانا ، فهو لا يصح دائما . إذ أن التغيرات الكمية كثيرا ما لا ينتج تغيرا كيفيا بالمرة

،كنقل شيء ما من مكان إلى مكان وكحركة المروحة الكهربائية وسائر المحركات بالآلات ، وكحركة النجوم في مداراتها فان كل هذا وغيره لا ينتج شيئا جديدا بعد انتهاء التغير الكمي وانقطاع الحركة لو حصل . و ليس من الضروري دائما ، وفي جميع الحالات أن يقفز التطور في مراحل معينة ، ليكون تطورا كيفيا . ولا تكفي عدة أمثلة للتدليل العلمي أو الفلسفي ، على حتمية هذه القفزات في تاريخ التطور ، وخصوصا حين تنتقيها الماركسية انتقاء، وتهمل الأمثلة التي كانت تستعملها لإيضاح قانون أخر من قوانين الديالكتيك ، لا لشيء إلا لأنها لا تتفق مع هذا القانون الجديد(٣٦).

ويرى السيد الصدر أن التغير الكيفي ناتج من دون تغيرات كمية . مثل انكسار الزجاج لو كان ناتجا عن الاهتزاز ، لكان ناتجا عن تغير كمي ولكنه قد يكون ناتجا عن سقوط جسم ثقيل عليه ، فيكون انكساره تغير كيفيا غير ناتج من تغير كمي فيه .وكذلك إسراج المصباح الكهربائي ، و إشعال النار ، فإنها غير مسبوقة بتغيرات كمية فيها ، بل هي إما حركة في غيره كحركة الفوتونات الكهربائية خلال السلك ، الأمر الذي يوجب إسراج المصباح . وإما هي حركة ليست من نوعه كحركة يد الإنسان الذي يشعل النار فإنها ليست من نوع النار ، وهنا يؤكد السيد الصدر على القانون الماركسي انه لا بد أن يشترط أن يكون التغير في شيء واحد ومن نوع واحد

وان هذا القانون حتى إذا كان صحيحا وسلمنا به إنما هو وصف وليس تفسير . فإننا عندما نقول أن الأشياء تتغير كميا ثم يترتب على ذلك بالضرورة طفرة نوعية سريعة مفاجئة وهذا وصف أو سرد مراحل التحول أو التغير وهذا ليس تفسير وتعليل، وإلا لماذا هذا التطور ولماذا لم يكن تدريجيا وما هو مصدر

القفزة ؟ فأمور لم يفسرها هذا القانون ومن المعلوم أن الفلسفة التحليلية تفسيرية وليست وصفية(٣٧)

وان السيد الصدر يرى أن التغير الكيفي لا يكون نهائيا . بل تلحقه تغيرات كمية أخرى ،لكن بدون أن تكون منتجة لتغير كيفي . فلئن كان رفع الحرارة قبل الغليان منتجا للغليان ، فان رفع الحرارة بعد الغليان غير منتج لشيء ،بل يبقى الغليان هو الغليان وتحول السائل إلى غاز على حاله .وإذا كان التغير الكيفي أهم وأفضل من التغيرات الكمية ، فان السيد الصدر يرى هناك اصطدام بتغيرات كيفية تكون اضعف واسوا من التغيرات الكمية مثلاً الموت الذي يأتي بعد الحياة فانه يكون اقل أهمية من الحياة ، وأيضا مثال الاحتراق التام الذي يحدث في حالة الخسوف والكسوف والذي يأتي بعد الاحتراق الجزئي التدريجي ، وبهذا فان التام يكون أسوا من الاحتراق الناقص .

النقطة الثالثة : -

يرى السيد الصدر أن التغير الذي يعتبره انجلز كيفياً ، هو في واقعه تغير كمي ليس إلا. ويوضح هذا الأمر من مثال انجلز الرئيسي : مثال الغليان ، فانه يحتوي على تغيرات كمية على عدة أشكال(٣٨):-

الشكل الأول :-

أن تصاعد الحرارة بطبعه ، تصاعد كمي وان زاد على المائة حيث يوضح السيد الصدر هذا القول بالالتفات إلى غير الماء من الأجسام التي تتدرج في الحرارة فان تصاعدها هناك كمي محض .

الشكل الثاني :-

تحول الماء إلى بخار أو غاز فان هذا يحدث منذ الدرجات الضعيفة للحرارة ، ويتزايد بتزايدها ،لأنه يتناسب مع الحرارة تناسبا طرديا . إذن فالتبخر كان موجوداً قبل الغليان ومستمرا في تزايد ،والحال نفسها بقيت بعد الغليان ولم

يحدث شيء جديد . نعم لو لم يكن التبخر موجودا ،ثم وجد أول الغليان ،لكان ذلك تطبيقا للقانون بشكل أو بأخر ، إلا أن السيد الصدر يرى أن الأمر ليس كذلك .

الشكل الثالث : -

كذلك النشيش* فان السيد الصدر يرى أن الحديث فيه كالحديث عن التبخر* . من انه موجود منذ الدرجات الضعيفة للحرارة ويتزايد بتزايدها لأنه يتناسب معها تناسبا طرديا حتى تصبح تدريجا واضحة ولو ارتفعت الحرارة أكثر من المائة ،فسوف يكون الانقلاب واضح .فان النشيش لو كان منعدما قبل الغليان ثم يحدث بحدوثه لكان تطبيقا للقانون ولكن الأمر ليس كذلك .

وان مثال الماء يكفي أن نقول فيه أن حركته ليست جدلية بل هي سببيه ، فالتحول الذي طرأ عليه لم يكن من داخله بواسطة الصراع ألتناقضي ، وإنما بسبب خارجي عن الماء كما أن تحول الماء إلى بخار ليس تحولا نوعيا ذلك أن البخار هو الحالة الغازية للماء فنحن هنا أمام تغير ظاهري شكلي ولسنا أمام تطور جذري جوهري[٣٩]. وان الحركة التطورية التي يحتويها مثال الماء ، ليست حركة ديالكتيكية، لان التجربة تبرهن على انبثاقها ، عن تناقضات المحتوى الداخلي للماء ، كما تفرضه تناقضات التطور الديالكتيكية . وان الماء لولا الحرارة الخارجية لبقي الماء ، ولم تتطور إلى غاز ، فلم يتم التطور الانقلابي للماء إذن بصورة ديالكتيكية . وان الحركة التطورية في الماء ليست حركة تصاعدية بل هي حركة دائرية يعود فيها الماء إلى بخار ويعود البخار كما كان دون أن ينتج عن ذلك تكامل كمي أو كيفي.[٤٠] وان القفزة التطورية للماء إلى غاز نفسها التي حققها بلوغ الحرارة درجة معينة لا تستوعب جميع أجزاء الماء في العالم في وقت واحد فمياه البحار والمحيطات تتبخر تبخراً تدريجياً ولا تقفز بمجموعها مرة واحدة إلى الحالة الغازية [٤١].

فان تحول الكمية إلى الكيفية لا يمكن أن نطبقهُ على مثال الماء الذي يتحول إلى غاز أو جليد وفقاً لصعود درجة الحرارة فيه وهبوطها كما صنعت الماركسية ، لأن الماركسية اعتبرت الحرارة كمية والغاز أو الجليد كيفية ، فقررت أن الكمية في المثال تحولت إلى كيفية وهذا المفهوم الماركسي للحرارة أو للغاز أو الجليد لا يقوم على أساس لان التعبير الكمي عن الحرارة الذي يستعمله العلم حين يقول أن درجة حرارة الماء مائه أو خمسة ليس هو جوهر الحرارة وإنما هو مظهر للأسلوب العلمي في رد الظواهر الطبيعية إلى كميات ليسهل ضبطها وتحديدها[٤٢].

والواقع أن الكيف في العلم لا وجود له . إذ العلم لا يعترف به ويعتمد الكم وان كل ما نراه كيفا إنما يختفي وراء حقيقة كمية ولذا فان الكم هو حقيقة الكون وكل كيف وهم وباطل .فكيف نوفق بين رأي العلم وبين رأي الديالكتيك الذي يدعي دعاته انه فلسفة العلم .[٤٣]

ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الطفرة التي لمسها الماركسيون قبل التغير الكيفي فإن العرف اللغوي حين يتبانى على أن درجة معينة من الانقلاب هي المسماة بالغليان، دون ما هو أقل منها ، فإن هذه الدرجة تحدث مع تصاعد الحرارة في لحظة معينة، بطبيعة الحال (درجة المائة تحدث بعد التسعة والتسعين) ولا يكون لها وجود قبل تلك اللحظة. وبمجرد حدوثها يسميها العرف اللغوي " فجأة باسمها الجديد: الغليان. وهذه المفاجأة هي التي استوحى منها الماركسيون معنى الطفرة وهي مفاجأة لغوية، كما أن فكرة التغير الكيفي أساسا فكرة لغوية، ولا تحتوي من ناحية (علمية) إلا على التغير الكمي إذن، فلم نستطع أن نضع يدنا على تطبيق واحد، من أي نوع،يصلح أن يكون تطبيقا كافيا للقانون الماركسي، وحاملا لكل صفاته المطلوبة.[٤٤]

الخاتمة

وفي الختام توصلت الدراسة إلى جملة نتائج وهي ما يلي : -

١. لم تكن النظرية الديالكتيكية من إبداعات الفكري الماركسية الخاص ، وإنما ترجع أصول هذه النظرية إلى الفيلسوف الألماني هيجل ، حيث جعلها منهجاً لفلسفته ، وقد أخذها ماركس منه ، وأجرى عليها بعض التعديلات ، وبني عليها إيديولوجيته في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد .
٢. إن النظرية الديالكتيكية تنطوي على فكرة إلغاء مبدأ العلية ، وبالتالي إلغاء وجود علة للكون ، وهذا يعني إلغاء وجود خالق للكون ، وذلك من خلال ادعاءها أن المادة هي أساس كل شيء ، وإنها تتطور من ذاتها من دون وجود من يطورها ، وان جميع مظاهر الحياة ترجع إلى المادة .
٣. إن نقد السيد محمد الصدر للنظرية الديالكتيكية مبنى على الأدلة العلمية والواقعية ،كما أن السيد لم يستخدم الأدلة الميتافيزيقا في نقده ، فالبراهين العلمية تكشف عن خطأ هذه النظرية ، وأنها لا تصمد أمام التطور العلمي والذي يفند ما جاءت به هذه النظرية .
٤. أن الماركسية بنظريتها الديالكتيكية أرادت أن تصل إلى نتيجة مفادها أن العوامل الاقتصادية هي التي تؤثر على حركة التاريخ البشري ، وان حركة المجتمعات البشرية ونتيجة للتناقضات التي تحدث بينها لابد أن تصل إلى مجتمع خالي من التناقضات ، وهذا المجتمع هو المجتمع الشيوعي .

ملخص البحث : -

يقوم الفكر الماركسي على النظرية الديالكتيكية ، وهي النظرية العامة للاشتراكية ومنها الشيوعية ، وان أسلوبها هو النظر إلى حوادث الطبيعية ، وطريقتها في البحث والمعرفة هي اكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الآراء بالنقاش ، وإنها ترى أن الحياة والإنسان والكون مادة تتطور من نفسها تطوراً ذاتياً ، فلا يوجد خالق ولا مخلوق وإنما تطور ذاتي في المادة . وان حوادث العالم المتعددة بنظرها هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة ، وان العالم يتطور تبعاً لقوانين حركة المادة ، وهو ليس بحاجة إلى أي عقل كلي ، فالديالكتيك في نظر ماركس علم القوانين العامة للحركة سواء في العالم الخارجي أم في الفكر البشري .وتنظر

الديالكتيكية إلى المادة على أنها الأساس في كل شيء ، وان جميع مظاهر الحياة إذا لم تخضع لها ، فلا يمكن الإيمان به ، إلا أن السيد محمد محمد صادق الصدر لا يوفق الديالكتيكية بهذا الرأي ، فالمادة ليس هي الأساس ، فهناك أشياء لا تخضع إلى المادة وهي خارجة عنها ، وهي موجود في الواقع ، وان انكراها يعني إنكار الواقع ، هذا مما دعا السيد محمد الصدر إلى نقدها

ولم تكن النظرية الديالكتيكية من إبداعات الفكري الماركسية الخاص ، وإنما ترجع أصول هذه النظرية إلى الفيلسوف الألماني هيجل ، حيث جعلها منهجاً لفلسفته ، وقد أخذها ماركس منه ، وأجرى عليها بعض التعديلات ، وبني عليها إيديولوجيته في مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد . كما أنها تنطوي على فكرة إلغاء مبدأ العلية ، وبالتالي إلغاء وجود علة للكون ، وهذا يعني إلغاء وجود خالق للكون ، وذلك من خلال ادعاءها أن المادة هي أساس كل شيء ، وإنها تتطور من ذاتها من دون وجود من يطورها ، وان جميع مظاهر الحياة ترجع إلى المادة و إن نقد السيد محمد الصدر للنظرية الديالكتيكية مبنى على الأدلة العلمية والواقعية ،كما أن السيد لم يستخدم الأدلة الميتافيزيقا في نقده ، فالبراهين العلمية تكشف عن خطأ هذه النظرية ، وأنها لا تصمد أمام التطور العلمي والذي يفند ما جاءت به هذه النظرية ، أن الماركسية بنظريتها الديالكتيكية أرادت أن تصل إلى نتيجة مفادها أن العوامل الاقتصادية هي التي تؤثر على حركة التاريخ البشري ، وان حركة المجتمعات البشرية ونتيجة للتناقضات التي تحدث بينها لابد أن تصل إلى مجتمع خالي من التناقضات ، وهذا المجتمع هو المجتمع الشيوعي .

Abstract

The Marxian thought based on the dialectical theory, the general theory of socialism and communism, its style is to consider the nature events and its method in research and knowledge is to discover the thinking contradiction and debates, it looks at life,

Man and universe as material with auto-developing, there is no Creator nor creature. The world multi events, for it , are different aspects of the mobile material or subject, world develops according to the rules of the subject action, it does not need for a n integrated reason or mind, so dialectics for Marx is the science of the general rules of the action of the outer world or for the human thought. Dialectics considers the material as the base of everything and all life aspects should subject to it otherwise we could not believe it. Rather Sayed Mohammed Mohammed Sadiq Al-Sader does not agree with the dialectics in this field, material is not the base, there are things that do not subject to material but they are exist and to deny them means to deny reality or existence, and that what motivated Sayed Mohammed Al-Sader to critique it.

The dialectical theory is not the innovation of the Marxian thought, rather its roots belong to the Germany philosopher Hegel who put it as a method for his philosophy, Marx adopted it, with some modifications, and on it he had built his ideology in the fields of policy, sociology and economics. It also based on the idea of reasoning cancelling so as to cancelling the reason of the universe then to cancel the existence of the universe Creator, by pretending that the material is the base of everything and that it develops by itself without a developer, and that all life aspects belong to material. Sayed Mohammed Al-Sader critique of the dialectical theory based on the real and scientific evidences, he does not use the metaphysical evidences in his critique, the scientific evidences reveal the mistake of this theory which could not face the scientific development. Marxism, with its dialectical theory aims at obtaining a result says that the economic factors affect the human history movement, and the human societies, due to their contradictories, must reach a society without contradictories, this is the Communist society.

هوامش البحث ومصادره

* – هذه النظرية أصبحت تسمى بعد وفاة ماركس (بالمادية الديالكتيكية أو المادية الجدلية) ، والنظر إلى ظواهر الاجتماعية لهذه النظرية الشاملة إنما تمثل حاله خاصة أطلق عليها أنجلس اصطلاح (المادة التاريخية) وهو ما يسمى (بالتفسير المادي للتاريخ) والظاهر إن المادية التاريخية سبقت المادية الديالكتيكية في التطور الفكري لماركس ، ولم يستخدم

ماركس هذا الاصطلاحات وان كان قد تحدث بطبيعة الحال عن المادية وعن الديالكتيكية وانه استخدم اصطلاح (المادية الديالكتيكية) لأول مرة بواسطة بليخانوف .\ ينظر – د. محمد دويدار – مبادئ الاقتصاد السياسي– ج١ منشورات الحلبي الحقوقية – بيروت – بدون طبعة – سنة :(٢٠٠٢م)– ص٢٤٨.

١ – انظر د. عبد الرحمن بدوي – موسوعة الفلسفة – الجزء الأول – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط ١ – سنة: ١٩٨٤م - بيروت –ص ٤٨٦.

٢ - ستالين – المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية – دار دمشق – بدون طبعة وتاريخ – ص ١٧ .

٣ - دليل أكسفورد للفلسفة – الجزء الأول – تحرير : تدهوندرتش – ترجمة : نجيب ألحصادي – ط ١ - سنة : (٢٠٠٥) – دار الكتب الوطنية – بنغازي ليبيا – ص ٣٦٢ .

** ولد جورج فلهلم فردرش هيجل في ٢٧ أغسطس عام ١٧٧٠ في رقم ٥٣ ابرهارد شتراس في مدينة شتوتجارت بألمانيا ، وكان والده جورج لودفيج هيجل موظفا حكومياً كما كانت أمه ريا المجدلية من اسرة تدعى (فروم) وفي سنة ١٧٧٣ دخل فيها هيجا المدرسة الاولية واشرفت والدته بنفسها على هذه المرحلة الاولية واكملت ما كانت تزوده به المدرسة الاولية ، ثم الحق سنة ١٧٧٥ بالمدرسة الرومانية، وقد دخل هيجل المدرسة الدينية الثانوية بمدينة اشتوتجارت سنة ١٧٨٠ وهي المدرسة التي بقي فيها قرابة احد عشر عاما ، وفي اثناء هذه السنوات حثت احداث خاصة بالنسبة لهيجل شخصياً واحداث عامة بالنسبة الى الحضارة والتاريخ . .ينظر ليود سبنسر و اندرزجي كروز – اقدم لك هيجل – ترجمة امام عبد الفتاح امام – ط ١ – ٢٠٠٢ - ص ٨ . وينظر عبد الفتاح الديدي – فلسفة هيجل – مكتبة الانجلو المصرية – ١٩٧٠ – ص ٥

٤– جعفر الهادي – دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية – ط١ - ١٤١٦ هـ - لجنة إدارة الحوزة العلمية – قم – ص ٦ .

٥ - د. عبد الرحمن بدوي – موسوعة الفلسفة – الجزء الأول – ص ٤٨٨ .

* -- ولد كارل ماركس في الخامس من ايار/ماي سنة 1818 في مدينة ترير بروسيا الرينانية . وكان ابوه محاميا و كا ن يهوديا ثم اعتنق البروتستانتية في سنة . 1824 ولم تكن عائلة ماركس الميسورة و المثقفة عائلة ثورية .و بعد ان اتم دراسته الثانوية في مدينة ترير دخل جامعة بون ثم جامعة برلين فدرس الحقوق وبنوع خاص التاريخ و الفلسفة .وفيسنة 1841 انجز دراسته بتقديم اطروحته الجامعية حول فلسفة ابيقور .اما مفاهيمه فكانت حتى ذلك الوقت ما تزا ل مفاهيم هيغلية– نسبة الى هيغل-مثالية .و في برلين انضم الى حلقة

"الهيغليين اليساريين "(برونو باور و غيره) الذين كانوا يحاولون ان يستخلصوا من فلسفة هيغل استنتاجات الحادية و ثورية.\ ينظر – فلاديمير لينين - كارل ماركس ، سيرة مختصرة وعرض للماركسية – بدون طبعة وتاريخ - منشورات : دار صامد – تونس – ص ٢ .

٦ – جعفر الهادي - دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية – ص ٦ .

٧ – السيد محمد حسين الطباطبائي – اصول الفلسفة والمنهج الواقعي – ج ٢ –ترجمة : عمار ابو رغيف – بدون طبعة و تاريخ – ص ٤٠٣ .

٨ – الشيخ كامل محمد محمد عويضة – الماركسية والاسلام – دار الكتب العلمية – ط١ – ١٩٩٣ م - ص ٤١

٩ – د.ابراهيم مصطفى ابراهيم – الفلسفة الحديثة من كنط الى رينوفييه - ج ٢ – دار المعرفة الجامعية – ٢٠٠٩م – ص ١٩٩ .

* - ولد فريديريك انجز عا ١٨٢٠ ، في بارمن وهي مدينة من اقليم ريناني تابع لمملكة بروسيا ، وكان والده صاحب مصنع ، وفي عام ١٨٣٨ اضطر انجلز لاسباب عائليه وقبل ان ينهي دراسته الثانوية لان يعمل مستخدماً في مؤسسة تجارية في مدينة بريمن ، ولكن الاعمال التجارية لم تمنع انجلز قط من العمل على تثقيف نفسه علمياً وسياسياً . فمنذ كان في المدرسة الثانوية حقد على الاوتوقراطية وعلى تعسف الدواوينية(البيروقراطية) ، وقد دفعته دراساته الفلسفية الى ابعد من ذلك ، فقد كان مذهب هيغل في ذلك الحين مسيطراً على الفلسفة الالمانية واصبح انجلز من اتباعه ، ولقد كان انجلز صديقاً لكارل ماركس حيث اصبح عمل حياة الصديقين عملاً مشتركاً .ينظر لينين – فريديريك انجلز حياته واثاره : دار صامد – بدون طبعة – ١٨٩٥ – ص ١ .

١٠ - موريس كورنفورث – الفلسفة الاشتراكية – ترجمة : عبد الجبار عوض – ١٩٦١ – ص ٣ .

١١- المصدر نفسه – ص ٥١ .

١٢– السيد محمد محمد صادق الصدر – موسوعة الإمام المهدي – ج ٤ – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني –دار الفقه– ط ١ – سنة : ١٤٢٤هـ – ص ٦٧ .

١٣ - جعفر الهادي – الله خالق الكون – مؤسسة الإمام الصادق – ط ٢ – ١٤٢٤ هـ - ص ٣١٥ .

١٤- السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني – ص ٧٦ .

١٥– د. محمد سعيد رمضان البوطي – نقض اوهام المادية الجدلية (الديالكتيكية) – دار الفكر – دمشق– ط ١ –٢٠٠٧ – ص ١٠٧ – ١٠٩ .

١٦- السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص ٧٧ .

١٧ - المصدر نفسه - ص ٧٩ .

١٨ - الشيخ كامل محمد محمد عويضة – الماركسية والاسلام - ص ٥٠ .
١٩ -السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص ٨٥ .
٢٠ - موريس كورنفورث – الفلسفة الاشتراكية– ص ٣٤ .
٢١ - د . احمد محمود صبحي – في فلسفة التاريخ – دار الوفاء لدينا – الاسكندرية - ص ٢٢٤ .
٢٢ – د.رأفت غنمي الشيخ– فلسفة التاريخ– دار الثقافة – القاهرة – بدون طبعة – ١٩٨٨م – ص١٦٢
٢٣ – ينظر - د.ابراهيم مصطفى ابراهيم – الفلسفة الحديثة من كنط الى رينوفييه - ج ٢- ص ٢٠١ .
* - ولد لودفيغ فويرباخ في الثامن والعشرين من شهر تموز سنة ١٨٠٤ ، في مدينة لاندس – هوت البارفارية ، والتي انهى فيها دراسته الثانوية ، وبعد انهاء دراسته الثانويه قرر فويرباخ تكريس نفسه لدراسة اللاهوت البروتستاني ، وفي سنة ١٨٢٣ ، ذهب فويرباخ الى هيدليرغ للدراسة في جامعتها ، حيث كانت فلسفة هيغل تدرس على يد دوب ، وفي سنة ١٨٢٤ سافر الى برلين ، وفي برلين تحددت بذور الفكر الفويرباخي الاصيل اللاحق ، وفي سنة ١٨٢٦ انهى دراسته في جامعة برلين برسالة قدمها الى استاذه هيغل عنوانها : (العقل الواحد ،الكلي اللامتناهي) ، وفي سنة ١٨٢٨ نشر رسالته (العقل الواحد ،الكلي اللامتناهي) فعين على الاثر استاذا حرا في جامعة ارلنغن ، حيث حاضر فيها حتى سنة ١٨٣٢ ، وفي سنة ١٨٣٦ تزوج فويرباخ من برتا ليڤ ، الشريكة في وراثة قصر بروكبرغ ، حيث عاش فيه حياة نبيل ريفي ، وعرف ، لسنوات طويلة سعادة بسيطة تتلاءم مع ذوقه . انظر حنا ديب – هيغل وفويرباخ – دار امواج – ط ١ – ١٩٩٤- بيروت – لبنان – ص (١٦ – ١٩)
٢٤ – د. رافت غنمي الشيخ – فلسفة التاريخ – ص ١٦٣ .
٢٥ -ينظر - السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص ٨٢ – ٨٣ .
٢٦ – د . علي جريشة – الاتجاهات الفكرية المعاصرة – دار الوفاء - ط ٣ -١٩٩٠م – ص ١٨٥.
٢٧- الاستاذ جعفر الهادي – دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية – ص ٢٧ .
٢٨ – د.رأفت غنمي الشيخ– فلسفة التاريخ–ص١٧١
٢٩ -ستالين – المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية – ص ٢٧ .
٣٠ - موريس كورنفورث – الفلسفة الاشتراكية - ص ٣١ .
٣١ - السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص ٧٣ .

٣٢ - .ابراهيم مصطفى ابراهيم – الفلسفة الحديثة من كنط الى رينوفييه - ج ٢- ص ٢٠١ .
٣٣ - غنمي الشيخ– فلسفة التاريخ - ص١٦٢ .
٣٤ – انظر السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص ٨٧ .
٣٥ - كمال حسين – أضواء على المادية الديالكتيكية عرض ونقد – ط ١ –١٩٧٦ - مطبعة اسعد – بغداد – ص٣١
٣٦ - السيد محمد باقر الصدر – فلسفتنا – ط ٢ – سنة : ١٩٩٨م - دار التعارف للمطبوعات – بيروت – لبنان – ص ٢٤٤.
٣٧- كمال حسين – أضواء على المادية الديالكتيكية عرض ونقد – ص٣١ .
٣٨ - السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص ٩٠ .
* - هو عبارة عن صعود الأجزاء السفلى من الماء إلى أعلى ،نتيجة لتمددها بالحرارة أكثر من الأجزاء العليا . ينظر السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص٨٩
* - وهو أن العرف اللغوي تبانى على تسمية كمية معينة من هذه السلسة من الحركات بالغليان ،كما سمى درجاتها الضعيفة بالنشيش .وكان يمكنه أن يسمي أية مركبة أخرى بهذا الاسم أو بأي اسم أخر . وقد أهمل التصاعد اللاحق للغليان من اسم جديد . . وفي الواقع كله تصاعد على غرار واحد ،وبارتفاع كمية الحرارة وكمية التبخر وكمية الانقلاب ليس إلا . ينظر السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني-. ص ٩٠ .
٣٩ - كمال حسين – أضواء على المادية الديالكتيكية عرض ونقد – ص ٣١ .
٤٠ - ينظر السيد محمد باقر الصدر – فلسفتنا –ص٢٤٦
٤١ - عقيل صادق زعلان – نقد الفلسفة المعاصرة عند السيد محمد باقر الصدر (دراسة تحليلية) – رسالة دكتوراه - ٢٠٠٧ م- غير منشوره – جامعة الكوفة – كلية الاداب – ص١٣٢ .
٤٢ - السيد محمد باقر الصدر – فلسفتنا – ط ٢ – ص ٢٤٧
٤٣ - كمال حسين – أضواء على المادية الديالكتيكية عرض ونقد – ٣٠ .
٤٤ - السيد محمد الصدر – اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني- ص٩٠.